فقيد الوطن الفنان الكبير/ محمد مرشد ناجي في الذكرى (الأولى) على رحيلـه..

رافـد الغـناء اليمني والطرب الأصيل

مازالت ذاكرتي ترسم وتستعيد المواقف الجليلة الراسخة والرصينة مع الفنان الكبير/ محمد مرشد ناجي منذ بدايات العلاقة الحميمة والوثيقة التي جمعتني به وفي لقاءات متعددة أتذكر فيها سلطة الأبوة التي غمرني بفيضها لسنوات طويلة كان ديدنه محباً متسامحاً ناصحاً ومخلصاً في الأقوال والأفعال..

لقد كُتب (بضم الكاف) عن الفقيد الفنان المرشدي كما كتب عن سائر أمثاله من الناس/ النخبة - الهيام والموت حباً في الوطن .. وبالتالي تبوؤ مقامات المعاناة النبيلة والسامية.. شاقة وصعبة الكتابة حينما نسطر حروفها بحبر مداد القلب عن فقيد الغناء والوطن (المرشدي).. أحاول عبثاً محاكاته ولمسه من أي طرف متاح كي يستوي النص نصاً خالياً من الحرائق ، الإختراقات... واستطرادات البكاء.. والأحزان، أعني إني أبذل قصارى المعرفة كي أبلغ معناك والإلمام ولو ببعضك الكثير والجميل..

يُعد الفنان الكبير محمد مرشد ناجي واحداً من أهم دعائم وركائز (الغناء التجديدي العدني الحديث) بالإضافة لدوره البارز الهام والمؤثر بتقديم الموروث والفلكلور الغنائي اليمني بكل تلاوينه وإيقاعاته المختلفة والمتعددة بأسلوب رائع أخاذ ومقدرة فائقة أعادت إليه الروح والحياة بعد حالة الإهمال والنسيان .

ولعل (المرشدي) من الفنانين القلائل الذين تمكنوا ببراعة من تقديم عطاءات ونتاجات إبداعية أستندت على محاكاة التراث اليمني برؤيته المستقلة وبمنظوره ومنهاجه ومدرسته المتميزة معتمداً بذلك على جمال وعذوبة ورقة (صوته الذهبي) وسلاسة وسلامة مخارج الألفاظ والقدرة الهائلة على التغيير والتنويع بخلق جمل لحنية نغمية (ديناميكية) والاهتمام بالمقامات والايقاعات اليمنية المصحوبة بثراء في العاطفة والشجن المتدفق والمرتبط بجذور وأصول التربة اليمنية المعطاء .

أن صوت (المرشدي السرمدي) ونحن نستمع إليه يخيل إلينا ونحس كأنه جاء منبعثاً من أعماق الأرض والتاريخ حاملاً بصوته الرخيم العذب أبرز وأهم ملامح الأصالة والحضارة اليمنية المترامية بإمتدادها وإتساعها في كل أرجاء الجزيرة العربية والخليج العربي، مؤكداً بأدواته وقدراته الإبداعية المتفردة (جدارته وحنكته) في توصيل كل تلك السمات الفنية والتفاصيل التاريخية / الإجتماعية/ السياسية بحرفية وتقنية عالية وبملكة الفنان المبدع الخلاق المتكئ بمشروعه الغنائي الموسيقي على مرجعية الثقافة والعلم وفي الإطلاع والبحث عن المعرفة بكل شاردة وواردة (يصادفها في جامعة الحياة).

عُرف الفقيد منذ يفاعة الصبا وعنفوان الشباب مكافحاً ومناضلاً صلباً عاشت قضايا أمته في خلاياه الدموية وكان يتنفسها فناً وموسيقى ونغماً مساهماً في تفعيل وسيرورة وتنامي الوعي الوطني والقومي وتطور مداركه الفكرية المنفتحة إضافة إلى مواقفه الإنسانية والنضالية الصلبة والجسورة المشهودة (الفذة) في مقاومة الظلم والإستعباد والقهر والعبودية والجهل والتخلف إبان الحكم الإمامي الكهنوتي في شمال الوطن سابقاً والإستعمار البريطاني في جنوبه.. فمن منا لا يتذكر أناشيده الوطنية التي الهبت همم وحماس الجماهير العريضة وأقضت مضاجع الطغاة الفاسدين الظالمين ورفدت المكتبة الفنية الغنائية الموسيقية والعربية بأعظم وأروع الأغنيات الخالدات التي كان لها السبق والريادة في توحيد الوجدان والضمير الوطني والعاطفي لكل فئات وطبقات الشعب اليمني .. ناضل في سبيل العدل والإستقرار ناشداً وآملاً أن يعيش كل اليمنيين في سلام وسكينة وأمان.

كان للفنان المرشدي نشاطات نوعية .. نخبوية.. وظيفية.. مهنية .. نقابية .. تربوية .. فنية .. وسياسية دلف من خلالها في منظومة المجتمع اليمني .. كان رحمه الله صاحب مدرسة فنية استثنائية متميزة ، أمتلك فقيدنا المبدع (كاريزما مرشدية مستقلة) ورونقاً وحضوراً فنياً إذاعياً وتلفزيونياً ومسرحياً لافتاً ومتفرداً.

ضيقة هي كتاباتنا والتأبينات ، المراثي .. وحتى القصائد وأنت القامة السامقة الشاهقة الباسقة (يامرشدنا) في حضورك البهي الطاغي الجبار كشلالات الماء المتدفقة التي لايأتيها اليباس والجفاف والتصحر .. في هذا المقام نحاول البحث والغوص في سبر أغوار تجربتك النغمية واللحنية المقامية والإيقاعية الساحرة الآسرة، آملين من خلال قراءاتنا النقدية العلمية تسليط الأضواء وإبراز المواطن الجمالية ومطارح وإنبعاثات التألق والمغايرة الكامنة في سفر رحلتك الغنائية الموسيقية الإبداعية العظيمة والخالدة ، ولعل من المفارقات العجيبة التي تجزم أنك متعدد وافر الخصال والشمائل .. المحتشد في رونق شخصك الواحد المتجلي في إسمك .. (المرشد).. وتستحق كل هذا الحزن والوجوم والوجع والذهول المضطرد اللامتناهي .. إن لحظات القضاء والقدر أكدت مصادفة وبتلقائية ربانية (عصاميتك وصلابتك وجسارتك) واجتهادك ودأبك الحثيث بالمعنى التوصيفي والقيمي والأخلاقي والإبداعي من خلال قيامك بدورك في تأدية رسالتك الفنية والوطنية والإنسانية على أكمل وأنصع وأروع صورة لخدمة قضايا وطموحات وآمال وهموم وتطلعات بسطاء الناس من أبناء أهلك وشعبك ووطنك حتى الرمق الأخير من حياتك.

وفي الواقع (نجح) الفنان القدير محمد مرشد ناجي بشكل لافت ومبهر في تحقيق كل القيم والمبادئ والمفاهيم التي تحمل بمضامينها ماهية ووظيفة الفن ودور الفنان المثقف الملتزم فأبدع بإشتغالاته الغنائية والموسيقية المبتكرة الحديثة وأستطاع في نفس الوقت أن يتعامل ويتعاطى مع التراث والفلكلور اليمني (برؤى ومعالجة فنية حداثية) ليجعله محتفظاً بأصالته وهويته ومحبباً لأذن المستمع والمتلقي في داخل الوطن وخارجه ، وتمكن (المرشدي) من خلال أحاسيسه ومشاعره الصادقة أن يمر على كل جبال وهضاب وسهول ووديان اليمن بكل تضاريسها ومناخاتها الساحرة الخلابة فجعلنا نطوف ونحلق مع أعماله وأغانيه الرائعة التي قدمها وأعاد صياغتها غنائياً وموسيقياً بصوته المخملي الدافئ والحنون الممتلئ بالعُرب والحُليات المتوهجة المعبرة لنستمع ونستمتع بفضاءات غنائية موسيقية رحبة فنستعيد بعطاءاته وإبداعاته الفنية (ذاكرة الزمان والمكان) كل الحقب والمراحل الزمنية من تاريخ اليمن الزاخر والحافل بالإبداعات الخالدة ولعل هذه الأعمال الرائعة التي قدمها تؤكد مصداقية ماأشرنا إليه على سبيل المثال لا الحصر : أراك طروباً ، عن ساكني صنعاء ، صادت فؤادي ، يامن سلب نوم عيني ، الفل والورد ، ياساري البرق ، يحيى عمر قال ، قال أبو زيد ، قطفت لك ، شابوك أنا ، يامكحل عيوني بالسهر، الله أعلم ، أنا من ناظري ، المعنى يقول ، عظيم الشان ، ياغارة الله ، اهلاً بمن داس العذول وأقبل ، صادت عيون المها ، عليك سموني وسمسموني ، هليبه.. يا هليبه، قال الفتى يحيى عمر، أخضر جهيش مليان ، يا نجم يا سامر ، بانجناه، صون الغرام .. وغيرها .

حمل فناننا المبدع محمد مرشد ناجي على عاتقه هموم وقضايا ونضالات أمته وشعبة فعاش مجبولاً متبنياً لها منذ نعومة أظفاره حتى آخر رمق في حياته.. عشق الأرض اليمنية وأحب أناسها بكل طيبتهم وبساطتهم ، ليجعل من موهبته وفنه وعطاءاته وإبداعاته وسيلة أستطاع من خلالها أن يتصدر (قلب الأحداث الوطنية والمتغيرات) التي عاصرها على كل الأصعدة : السياسية / الإقتصادية / الإجتماعية / الثقافية / والنضالية .. فعاش متمتعاًبحساسية وطنية قومية شديدة الرهافة متطوعاً بوافر جهوده ومعاناته وآلآمه من أجل إنتصار حقوق كافة شرائح وطبقات أبناء الشعب .

كان فقيد الوطن فناننا المتألق مهموماً منهمكاً بذلك الحس والوعي الإنساني والوطني اللامتناهي غير المحدود المضني الذي أنعكس على أسلوب عيشه وحياته فدفع ضريبته ثمناً باهظاً من صحته ومستقبله وعدم إستقراره في حياة هانئة هادئة من تبعات مواقفه الوطنية والإنسانية الجادة ، وأستطاع أن يُغير ويعيد تقييم نظرة (السلطة والمجتمع) تجاه (الفن) ليرتقي بسلوكه وأعماله الغنائية الوطنية والعاطفية الرائعة والخالدة (بقيمة وأهمية وماهية وظيفة الفنان المثقف والملتزم) غير العابث واللاهي (المسلي) إلى مفهوم مغاير مختلف تماماً شكلاً ومضموناً في سلوكياته وأخلاقياته ويعبر عن معنى وقيمة الفنان المثقف المتمثل لنبض الشارع وهواجس مجتمعه وبيئته وأمته وشعبه .

ومن أهم الأعمال التي عبرت عن هذا المفهوم بصورة جلية ماقدمه المرشدي من أناشيد وطنية حصدت نجاحات جماهيرية واسعة وموجعة للإستعمار البريطاني وحكم الإمامة نتذكر في هذا المقام الأعمال التالية : يابلادي / هات يدك / ياطير يارمادي / شعبي ثار اليوم / أنا الشعب / أنا يمني / ياطيركم أحسدك / ياميناء التواهي / أنظر إلى بيتي / أخي كبلوني / طفي النار / والله انه قرب دورك يابن الجنوب / قائد الجيش البريطاني .. والعديد من الأناشيد والأغاني الوطنية التي ألهبت وحشدت الطاقات والهمم وأيقظت الوعي الوطني والنضالي ودفعت الجماهير الغفيرة للخلاص من ظلمات وويلات وعبودية الحكم الإمامي والاستعمار البريطاني في شطري اليمن.

المرشدي والأغنية الحديثة (فـن التلحين)

يعتبر الفنان محمد مرشد ناجي أحد أهم وأبرز رواد وروافد (الغناء التجديدي الحديث) فقد قدم إضافات تميز بها عن زملائه ومجايليه وحسبت له في مسار تطوير الأغنية اليمنية الحديثة (فللمرشدي وثبات فنية) مبتكرة ذات أبعاد جمالية ورؤى ودلالات فنية مدعمة باشتغالات (ديالكتيكية) وبناءات معمارية هندسية مقامية وإيقاعية وموسيقية بالغة التميز والفرادة والخصوصية تتمحور في تراكيب وصياغات الجملة اللحنية النغمية الموسيقية التعبيرية التصويرية بطريقته وأسلوبه ومنهاجه الذي يعتمد على شقين:

الشـــق الأول:

يتمثل في إختياراته الأدبية الثقافية والمعرفية الواعية في (تلحين القصائد الفصحى والحمينية) التي تبرز وتبين الجملة الموسيقية وتستند على الثبات والركوز في صياغة تراكيب وبناءات القوالب اللحنية والإيقاعية والجمل الموسيقية وغزارة وعمق وتدفق القوالب المقامية والنغمية التطريبية والتعبيرية (والحوارية الموسيقية) وبالتالي يرتكز قوامها ويستقيم على رصانة وعذوبة ونقاء وصفاء ووضوح مخارج الألفاظ وسلامة وسلاسة المفردات والشعور والإحساس الصادق الشفاف والقوي المفعم والمضمخ بمضامين معاني الكلمات (في النص الغنائي الفصيح) إضافة إلى حالة سريان التدفق النغمي الوجداني والروحي الممزوج والمنصهر بنسيج عاطفي رومانسي مع الأغنية - القصيدة والكلمات المغناة بشكل متناغم بديع ومعبر يضيف ويضفي للقصيدة والنص الشعري الذي يتعاطاه (المرشد) كثيراً من الصور والدلالات والرؤى الفنية الموسيقية والإيقاعية.. ولعل من أبرز هذه الأعمال الحانه لقصائد الشاعر العظيم محمد سعيد جرادة فقد اشتركا معاً في تقديم (ثنائيات وأعمال غنائية متميزة رائعة) كأغنيات : وقفة / ذات الخال / لقاء / هجرت وأبعدتني / شبابك ندي ريان .. وغيرها .

كما لايفوتني أيضاً الإشارة إلى (الثنائية) المشهود لها بالإبداع والتفوق مع الشاعر المبدع والخلاق لطفي جعفر أمان والتي نتذكر منها الأعمال الغنائية الموسيقية العظيمة التالية على سبيل المثال لا الحصر : إلى متى (يا كدا.. والا كدا) / ظبي من شمسان / عرفت الحب / ودعت حبك / مش مصدق / مع السلامة / ياريت ماكنا .. والقائمة تطول بروائعهما ..

بالإضافة للأعمال الجميلة التي سنتطرق إليها تباعاً وتبين بوضوح عبقرية فناننا القدير المرشدي كما أنها ستؤكد ما أشرت إليه في (الشق الأول) من تجربته في (فن صياغة الألحان) وشراكته وتعاونه مع العديد من القامات الشعرية وإسهاماته الهامة في تطوير الأغنية اليمنية التي أرتقت بذائقة الناس وحفرت في ذاكرة ووجدان الجماهير اليمنية وفي الخليج والجزيرة العربية، بل إنها وضعت بصمات وملامح هامة شكلت أهم تجليات وإشراقات الأغنية الحديثة والمعاصرة ومن هذه الأغنيات الناضجات فائقة العذوبة: خلاني وراح، صلاة قلب، دا كان زمان ياصاح ، نظرة من مقلتيها ، سألتني عن هوايا ، طلعت بدرية، غنوا معي غنوا ، لاتخجلي ، بروحي وقلبي ، لا تطلبي الصفح مني ، بيني وبينك كلام ، على ذكراها ، أكيد يا حبيبي ، مع السلامة ، ضناني الشوق، أحبها، ياللي أنكرت الحب (نهاية حب) ، اللقاء العظيم، ورق .. ورق، يا دموعي، مازلت أهواك ، يا عيبتك، اشتقت لك ، تاج النهار، لم يندمل جرحي.. وكثير من الأعمال التي ستظل راسخة في ضمير ووجدان الأمة.

أما الشـــق الثـــاني:

من تجربة المرشدي الغنائية والموسيقية ومدرسته في فن التلحين وطرائقه المتعددة المختلفة يتمحور في استخداماته للمفردة واللفظة الشعرية الغنائية العامية ويعتمد على الجملة الموسيقية القصيرة التي تستند على (ديناميكية حركة ورشاقة الأرتام والإيقاعات) ويمكننا أن نطلق عليها أسلوب (السهل الممتنع)، ولكنه يهتم أيضاً بالتنويعات المقامية والإيقاعية وبالمقدمات الموسيقية التي تحتاج لمحور خاص للحديث عنها بشكل مفصل ومستقل، ومن الأعمال الغنائية التي تتوافر فيها هذه المعطيات والمقومات اللحنية والإيقاعية والموسيقية التي ذكرناها على سبيل المثال هذه الباقة المختارة من الأغاني التالية: حبيبي جاني عتابك، يا بخت من حب ، ياسائلي عن هوى المحبوب، ياأغلى الحبايب ياغالي وزين، حارس البن، بامعك ، لقيته يا أماه ، ليه يابوي ، يانجم ياسامر ، غزير الحب ، ندانه .. ندانه ، ياعيدوه.. ياعيدوه ، ياغارة الله ، ياحبايب (عمرنا ليل) ، لاوين انا لاوين ، يا شركسي ، بانجناه ، بغينا الحب دايم بالتفاهم، يابوي أنا شي لله .. والعديد من الأعمال المتميزة.

المرشدي والثنائيات المتعددة الناجحة

ربما يكون من المألوف وكما جرت العادة أن يتفوق فنان مع شاعر معين ويشكلا (ثنائية) يشار إليها بالبنان ، ولكن الأمر مع فناننا المبدع أختلف تماماً ولا يمكن أن يحدث إلا إذا جاء الزمان بحالة إستثناء (فالمرشدي واحد من فصيلة العظماء) حقق ماعجز عنه الكثيرون من الفنانين وشكل (ثنائيات) غنائية متعددة ناجحة مع أكثر من شاعر من فحولة وفطاحلة الشعراء اليمنيين والعرب ، وأستطاع أن يتميز ويتفرد بإبداعاته وعطاءاته الغنائية الموسيقية مع كل واحد منهم بل وكان جديراً مقتدراً بتعامله مع نصوصهم وقصائدهم المختلفة المتنوعة بحسب ثقافتهم وفلسفتهم في أسلوب ونمط العيش والحياة .. فمن منا لايتذكر روائعه وإبداعاته مع الشعراء الكبار الأساتذة : محمد سعيد جرادة ، لطفي جعفر أمان، عبدالله هادي سبيت ، أحمد الجابري ، علي محمد علي لقمان ، حسين أبو بكر المحضار ، الأمير أحمد فضل القمندان، أحمد السقاف ، عبد الرحمن ثابت ، علي بن علي صبرة، ناصر شيخ، محمد سيف كبشي، مهدي حمدون، مطهر الأرياني ، د.سعيد الشيباني ، ناصر علوي حميقاني ، أحمد بو مهدي ، القرشي عبد الرحيم سلام ، تامر نصر، أحمد عباد الحسيني ، أحمد فؤاد نجم، علي أمان، عباس المطاع، نجيب أمان ، عبدالله سلام ناجي، محمد عبدالله بامطرف، أحمد شريف الرفاعي ، فريد بركات ، وديع أمان.. وآخرين .

فللشاعر الكبير عبدالله هادي سبيت قدم هذه الأغنيات : حبيبي جاني ، لاوين أنا لاوين ، نظرة من مقلتيها ، ليه يابوي ، ياعيدوه .. ياعيدوه ، بانجناه ، يابن الناس حبيتك ، عمرنا ليل (ياحبايب)، سألتني عن هوايا ..

وقدم للأستاذ أحمد الجابري هذه الأعمال الهامة أيضاً: علم سيري، ياغارة الله ، أخضر جهيش مليان ، ياعاشقين، لاتخجلي ، يا بوي أنا شي لله (مالك كدا يا هلي)، غفران (لاتطلبي الصفح مني)...

وللشاعر والملحن القدير حسين أبوبكر المحضار قدم باقة منتقاة من الأعمال الجميلة أتسمت بالخصوصية منها : دار الفلك ، أهل باكرمان، دعوة الأوطان ، ياساري الليلة.

وكذلك قدم للشاعر الرائع علي محمد علي لقمان هذه الأغنيات: صلاة قلب ، غنوا معي غنوا .. وغيرها .

وللأديب عبدالله فاضل فارع تعاونا معاً بتقديم عملين غنائيين هامين : بروحي وقلبي .. وأغنية مازلت أهواك ..

من هنا تأتي عبقرية فناننا القدير المرشدي بقدرته على العطاء المتدفق وإمكانياته الغنائية والموسيقية التي جعلته يتجدد لحناً بديعاً وإبداعاً بصور وأشكال مختلفة وبالطبع تأتي ثنائياته مع العملاقين محمد سعيد جرادة ولطفي جعفر أمان بصدارة القائمة في سجل المرشدي الغنائي والموسيقي الطويل والحافل .

مقطوعات موسيقية مستقلة في أغنيات المرشدي

سمعت بعض التصريحات مفادها أن الأستاذ محمد مرشد ناجي يصنف (بالفنان الشعبي) وفي الواقع أن هذا التصنيف مجاف للحقيقة ومغلوط جملة وتفصيلاً ولاينطبق عليه إذا توخينا الدقة في إختيار التصنيفات الفنية على (المرشدي) أو غيره من فنانينا المبدعين، ومع تقديرنا وإحترامنا لتصنيف ومسمى الفنان الشعبي إلا أن الأمر يختلف تماماً وهناك (بون شاسع بين توصيف الفنان الشعبي وفنان الشعب) وفناننا الكبير المرشدي ينطبق عليه فنياً وموسيقياً وحرفياً وإبداعياً التوصيف واللقب الثاني مسمى (فنان الشعب) بكل دقة ومنهاج علمي ودراسة كما سنشرح ونوضح بالبراهين والأدلة في هذا السياق الذي سنؤكد فيه إهتمامات المرشدي وإشتغالاته الموسيقية التي لايمكن أن يُقدم عليها ويتعاطاها إلا (فنان مثقف وشامل) يمتلك موهبة الخلق والإبداع والابتكار.

فإذا أعدنا شريط الذاكرة وقمنا بعملية مسح شامل وعام في هذا الإتجاه الهام لأغنيات المرشدي منذ بداياته سنكتشف إهتماماته بالمقطوعات الموسيقية كمقدمات مستقلة لأغنياته وسنجدها (مطرزة بزخارف ونمنمات مقامية وإيقاعية مرشدية) في غاية الروعة والجمال وكانت عبارة عن (تاج موسيقي بديع وضعه على رأس أغنياته) الأمر الذي يؤكد بالقطع تطلعاته وتحدياته وتمرده الواعي والمسؤول على كل ماكان مألوفاً وسائداً في ذلك الوقت أما الأدلة والبراهين فهي كثيرة منها على سبيل المثال المقدمات الموسيقية لهذه الأغنيات الشاهدة على براعته ونزعته العارمة نحو آفاق التحديث والتجديد بأعماله التي نتذكر منها على سبيل المثال : على ذكراها / عرفت الحب / ودعت حبك / ضناني الشوق / أهلاً بمن سلم/ صلاة قلب / ذات الخال / مع السلامة / أهلاً بمن داس العذول وأقبل / إلى متى / لقاء / عن ساكني صنعاء / أكيد ..أكيد / أحبها / وقفة/ بالله عليك ياطير يا رمادي / قطفت لك/ نظرة من مقلتيها / يابلادي / تاج النهار/ هات يدك .. وكثير من الأعمال الأخرى التي أتحفنا بها في مشواره الفني .

أغـنـيـة عـن ساكني صنعـاء

في هذا المقام سنعرج على هذه الأبيات الشعرية في أغنية (عن ساكني صنعاء) ذات القصيدة الحمينية كلمات الشاعر والقاضي العلامة/ عبد الرحمن بن يحيى الآنسي لنستخلص من هذا العمل الفني و اللحن البديع والرشيق (أهم خصائص ومميزات الفنان القمة المرشدي الملحن المتجدد والمتطور) منذ بدايته الأولى مروراً بمشواره الغنائي الزاخر والحافل بالعطاءات الإبداعية وبالتألق والمفاجآت..

البداية / المقدمة الموسيقية .. والإشتغال على خلق جمل لحنية نغمية مقامية وإيقاعية جديدة مبتكرة مغايرة عن ما كان سائداً حينها في ذلك الوقت فإذا أستمعنا للمقدمة الموسيقية جيداً وقمنا بتحليلها علمياً سندرك أنها لحنت على (مقام البيات على درجة الدوكاه) وأستخدم فيها إيقاع الشرح العدني (الثقيل 8 /6) وكانت المفاجأة في (تراكيب جمل موسيقى صولوا العود)، حيث أستخدم المرشدي (تكنيكاً عالي المستوى ورفيعاً) بطريقة (مضاعفة سرعة الريشة وزيادة الوحدات) إذ أن العود كان متناغماً بإنسجام بديع مع (الكمانات وبقية الآلات الوترية) في قوام الفرقة الموسيقية فأستطاع أن يخلق ويبتكر مقطوعة موسيقية فائقة الروعة والجمال، ثم يبدأ بعد ذلك التمهيد الموسيقي والغناء بطريقة حديثة جديدة نجد فيها (زخرفات ونمنمات هندسية معمارية مقامية نغمية وإيقاعية تتماهى وتتوحد مع روح وإحساس مدرسة (المرشدي) فلم يخضع لخصوصية وطبيعة النص الحميني المعروف والتقليدي الذي عادة ما كان يكتبه شاعر القصيدة الحمينية وعُرفت قصائده ملازمة ولصيقة بأهم الموشحات الصنعانية اليمنية ، لكن قدرة المرشدي الموسيقية الهائلة مكنته عن (مكنوناته ودواخله الشعورية) من خلال اللحن الجميل الذي أتحفنا به ويكثافة الأحاسيس والشوق والشجن الذي أمتزجت لتشكل مع صوته وحدة فنية متماسكة ونسيجاً رومانسياً عاطفياً عكس صورة ذلك الزمان الجميل بكل صدق وأمانة، ونحن لا نملك إلا تسليط الضوء صوب هذه الأغنية التي تعتبر نموذجاً ومثالاً لروائع أستاذنا الجليل الفنان محمد مرشد ناجي ودوره الريادي وخدمته لتطوير الغناء اليمني.. فهي بقيمتها الموسيقية والغنائية من وجهة نظري علامة بارزة وبصمة هامة أضيفت إلى رصيده الغنائي الموسيقي المشرق والمشرف ورفدت مع عطاءاته الغنائية الموسيقية بثراء دافق مسار الغناء اليمني وإستمراريته وتألقه نحو الأفضل والأجمل.

عصام خليدي

محطات إبداعية هامة

- تألق عميد الغناء اليمني وأشهر مشايخه وأساطينه الفنان الكبير/ محمد مرشد ناجي في تقديم ونشر كافة اللهجات والألوان الغنائية اليمنية : الصنعاني / اللحجي / العدني / اليافعي/ الحضرمي / التهامي/ الأبيني / والتعزي (الحجري) .. مطرباً وملحناً من الطراز الأول وأبدع بإبتكار (تحف فنية غنائية نادرة) حلق من خلالها في فضاءات (كونية رحبة) على بساط حنجرته الذهبية في الخليج والجزيرة العربية والوطن العربي وفي كل أصقاع المعمورة.
- قدم الفنان الكبير / محمد مرشد ناجي مجموعة متميزة من الأصوات ودفعها لساحة الغناء اليمني مدعمة بألحانه ورعايته ومن أبرز هذه الأصوات الأساتذة: طه فارع بهذه الأعمال الفنية: هجرت وأبعدتني / غلطة عمر/ يخاصمني ويضحك لي / مرحب رمضان، الفنان عبد الرحمن حداد: حبيب القلب / لقيته يا أماه / حارس البن، الفنان محمد صالح عزاني: أنت السبب/ وأبوي إيش الذي صار/ أشتقت لك / ياالله السبق...، وأشترك العزاني وأحمد علي قاسم وفتحية الصغيرة في إسكتش (بنت الأكابر).. وقدم للفنان عصام خليدي (حلفت ما شفرقك يا ريم وادي شبام)، (أشتقت لك يا حبيب روحي)، كما قدم الفنان محمد مرشد ناجي مع الخليدي والفنانه نوال حسين مقدمة المسلسل الإذاعي (الرهينة) وللفنان أبو بكر سكاريب قدم أغنية (مش معقول) وللفنان أحمد علي قاسم أغنية (ريح الشروق) وللفنانة أمل كعدل أغنية (بامعك) كما غنت بالإشتراك معه أنشودة الوحدة اليمنية (صنعاء الكروم) ، وقدم أيضاً للفنان الجميل محمد عبده زيدي أغنية (فلسطين) وللفنان عوض أحمد نشيد (ياجيلنا) وللفنانة المتميزة رجاء باسودان قدم أغنية (داري هواك داري) وللفنان محمد عبده سعد أغنية (طول جفاه) أما مع المنلوجست المبدع والقدير الفنان فؤاد الشريف له العديد من الألحان والأعمال الرائعة والجميلة أتذكر منها هذه المنلوجات: القات / كركر جمل / منلوج الزار/ ياناس حلو المشكلة / أمنعوا الهجرة / حلو لو / سير يا طير سير/ يا مجلس تشريعي/ عملت إيش بالبلدية...وغيرها من الأعمال الهادفة الناجحة التي حققت إنتشاراً واسعاً وجماهيرية.
- ولد فقيد الغناء اليمني (أبوعلي) في السادس من نوفمبر عام 1929م في مدينة الشيخ عثمان بعدن ، وتلقى تعليمه في الكُتّاب (المعلامة) وذلك على يد الفقيه أحمد الجبلي، وكانت هذه المعلامة في حافة (القحم) في مدينة الشيخ عثمان وقد ختم القرآن الكريم في سن مبكرة مما جعل والده يحتفي به وأقام له الحفلات أحتفاءً بختمه القرآن الكريم في هذه السن المبكرة .. ثم واصل تعليمه في مدرسة الحكومة الإبتدائية في الشيخ عثمان ولأسباب متداخلة متعددة أنقطع عن مواصلة الدراسة في المدارس الحكومية الثانوية بحجة كبر سنه (الأوفرايج) كما كان يقال في ذلك الوقت.. ليعود مرة أخرى لتلقي مبادئ تعليمه الثانوي واللغة الإنجليزية في (الكتاتيب) على يد الشيخ صالح حسن تركي جد الفنان المعروف إسكندر ثابت رحمهما الله .
- للفنان القدير محمد مرشد ناجي العديد من المؤلفات والإصدارات والمطبوعات والكتب الهامة القيمة أهتمت بتوثيق التراث الغنائي المتنوع والغزير وتخصصت بشؤون وقضايا الغناء اليمني القديم والمعاصر أهمها: أغانينا الشعبية / الغناء اليمني القديم ومشاهيره / أغنيات وحكايات / صفحات من الذكريات .. وله إسهامات مؤثرة وفاعلة تتضمن الكثير من الآراء والأطروحات في سياق المشهد الإبداعي الغنائي والفني بصورة عامة.
- لا يستطيع تقديم أعمال (المرشدي الغنائية) بإجادة وإتقان أي فنان لأسباب كثيرة فهي تتطلب مواصفات ومميزات لا تتوافر إلا بصوته وثقافته الواسعة من أبرزها عذوبة وصفاء ونقاء الصوت ورصانته بالإضافة لسلامة ووضوح مخارج الألفاظ وقدرته (الفذة) على توصيل المعاني والكلمات معتمداً على براعته وحنكته في إتقان (فن الإلقاء الصوتي وطرائقه المتعددة والمختلفة).
- أحب الفنان محمد مرشد ناجي وتأثر فنياً بأصوات وأسلوب غناء العمالقة: الشيخ علي أبو بكر باشراحيل/ الشيخ محمد جمعة خان / الشيخ عوض عبدالله المسلمي .. ورائدا الأغنية العدنية خليل محمد خليل/ سالم بامدهف.. ومن الوطن العربي موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب.
- تعامل فناننا المبدع (المرشدي) مع معظم المقامات الموسيقية الشرقية العربية وأستخدمها في أعماله منها: البيات / الهزام / السيكا / الراست / السوزناك/ النواثر / والحجاز كاركورد / النيرز راست / راحة الأرواح... وغيرها من المقامات الأخرى.
- ابتدأ الفنان محمد مرشد ناجي باكورة مشواره الغنائي الموسيقي من (القمة) في أغنية (وقفة) من كلمات الشاعر العظيم/ محمد سعيد جرادة في عام (1951م) وقام بتسجيلها بمصاحبة (ندوة الموسيقى العدنية) في إذاعة عدن (منتصف الخمسينات) من القرن الفارط ضمن مجموعة أغانيه الشهيرة التالية: خلاني وراح/ شبابك ندي ريان/ طلعت بدرية.. وحينها كانت الأغاني تبث على الهواء مباشرة تحت إشراف الأستاذ (توفيق إيراني) ومنذ ذلك الحين ظل (المرشدي) متربعاً محافظاً على مكانته وجمهوره ومحبيه إلى أن توفاه الله.

فناننا (المرشدي) تعامل مع معظم المقامات الموسيقية الشرقية العربية وأستخدمها في أعماله منها: البيات / الهزام / السوزناك / السيكا / الراست / النهوند / الحجاز / النواثر / والحجاز كار كورد / النيرز راست / راحة الأرواح ... وغيرها من المقامات الأخرى.

أحـــد أبـــرز رواد الغـنـــاء التجـديـــدي الحديـــث

خـتـامـاً

قمتُ بتقديم هذه القراءة النقدية والفنية تقديراً وعرفاناً لأهمية مكانة ودور الأستاذ الفنان الكبير/ محمد مرشد ناجي في مسار تاريخ الغناء اليمني المعاصر وتطويره ..

نعم جاءت قراءتي النقدية بصورة مختزلة لتجربة فنية وإنسانية ثرية عميقة الأثر متعددة الوجهات والمحاور ستظل راسخة في الضمير والوجدان والذاكرة المتعبة المرهقة وعلى وجه الخصوص بعد أن تلقينا والأوساط الفنية والثقافية الأدبية والإبداعية والجماهير العريضة على إمتداد خارطة اليمن والخليج والجزيرة والوطن العربي بأسره في عصر يوم الخميس الموافق 7 / فبراير/ 2013م نبأ وخبر وفاة آخر حصون وقلاع فن الغناء والطرب الأصيل، رحيل الفنان والمناضل المثقف والأديب والتربوي والمؤرخ محمد مرشد ناجي عن عمر ناهز (84عاماً) ..

قدم (أبوعلي) رحمه الله إبداعات فنية استثنائية ويُعد رافداً للأصالة والمعاصرة ، وفي الواقع تضمنت هذه القراءة بين ثنايا حروفها وسطورها النابضة في المقام الأول (رسالة حب ووفاء) لواحد من أهم رواد ورموز الغناء في اليمن (وآخر عناقيد الإبداع).

وأجزم أنني لا زلت أرزح تحت أعباء وأثقال وتداعيات وفاته.. أحسه مقيماً في خلاياي ، صوته ، صورته ، ضحكاته ومداعباته لا تفارقنا منذ شبابنا حتى شيخوختنا وبكل ملامحها ماثلة أمامي وقبالي تعبث بلغتي وتعطل تفكيري ..

لقد وهب وترك للأجيال المتعاقبة (ثروة قومية) ونحت في صدورنا وعقولنا وأرواحنا وأفئدتنا بعطاءاته وابداعاته ونتاجاته التي أتحفنا وأسعدنا من خلالها بفنه الراقي والبديع منذ (ستة عقود من زمن الغناء الأصيل والريادة والتأسيس) .. ونستطيع القول أن تجربته الإبداعية والنضالية والوطنية علقت ورسخت ووشمت في ذاكرة الوطن، وجسدت بحضورها معاني وسطوراً كتبت بأحرف من ضياء ونور أبرز وأعظم عناوين العطاء والمحبة والتألق والخلود .